

كان بياجي يرفض ان يصنف كسيكولوجي بل كان يعتبر نفسه ابيستمولوجيا . من اجل تطوير الابيستيمولوجية ، و في كل الأحوال فبياجي قد قدم خدمة جليلة لعل النفس رغم ان الكثير من المتخصصين الذين كانوا يعتبرونه سيكولوجيا . فالابيستيمولوجية التكوينية عند بياجي ستحدد لنا مدى علمية علم النفس فهي تؤكد لنا على تلك العلاقة بين الذات العارفة او موضوع المعرفة ، هذه الذات العارفة هي التي تدرس هذا الموضوع و ذلك في كل المجالات و هو ما يسمى بعلم ظواهر الأشياء، و تعد هذه هي نتيجة الموضوع اي انها بقيت النتيجة فقط . لكن علم النفس له خصوصيته الابيستيمولوجية و التي تتجلى على اعتبار ان هناك تداخل بين الذات و الموضوع ، فالذات نفسها هي موضوع الدراسة فتلك الذات التي كانت هي الفاعل في الموضوع أصبحت هي الموضوع و الفاعل في نفس الوقت ، و هذا ما يطرح اشكالا كبيرا بالنسبة للابيستيمولوجية لان في علم النفس نراهن على الموضوع لان الذاتية و هي جزء أساسي في الظاهرة الإنسانية . و في كل دراسة فان الذاتية حاضرة و هذا مؤشر على عدم علمية علم النفس بالنسبة للابيستيمولوجية دائما سواء عند باشلار او عند بياجي، و بالتالي لا يمكن الفصل بين الذات و الموضوع كما هو الحال في العلوم اليقينية لان هناك علاقة ذاتية دينامية و ليست ثابتة حسب بياجي ، و مثال على ذلك اعتماده على مراحل النمو عند الطفل عبر جميع المراحل و بالتالي فهناك نوع من الدينامية و هي دراسة للذات نفسها . - العلاقة بين الابيستيمولوجية و علم النفس من خلال بياجي و ديسيني و بورتوا ، فقد اهتم بياجي بعلم النفس من اجل تطوير الابيستيمولوجية ، لقد كان علم النفس بالنسبة للابيستيمولوجية علما حديثا ، رغم انه كان خادما لعلم النفس لكن بمنهج ربما غير مقتنع به من اجل الوقوف على التطور المعرفي العلمي قدم من خلال هذا كله نظريات و تصورات كثيرة لعلم النفس و كانه بخدمته التي كان يتوخاها للابيستيمولوجيا قدم خدمة جليلة لعلم النفس فيما ان العلوم الحقة تقوم على تعدد النظريات ، فان الابيستيمولوجيا الحديثة تراهن على التعدد النظري في العلوم . اما في علم النفس يطرح اشكالا كبيرا حيث يعتبر على ان التعدد النظري في مجال علم النفس ينحو نحو المعارضة ، و Epistimologie et : هذا امر غير صحي بالنسبة لتوجيه علم النفس عموما و هكذا يتضح لنا بان ديسيني و بورتوا في كتابهما الذي جاء فيه بتصور منفتح و تصور شمولي لجميع النظريات و يقبل جميع النظريات (instrumentation en science 2007) في العلوم الإنسانية . و هذا في حد ذاته هو امر غير صحي في التوجيه السلوكي ، و هذا يعني ان التصور الذي تبناه بورتوا و ديسيني فهو تصور منفتح يقبل ان تكون هناك ذاتية من داخل علم النفس و هو الى حد ما ما ذهب اليه بياجي رغم ان هذا التصور اكثر تطورا ، فعندما تحدث بياجي عن الذاتية و عن الموضوع و اعتبر بان هذا تناقض بين الذات العارفة و الموضوع من خلال ما سبق نتصور بان المقاربة الابيستيمولوجية لا تؤمن بالتصورات الموضوعية ، فلماذا ؟ لان الموضوعات النفسية فهي تشتغل على الذات و بالتالي فان هناك تناقض و لا يمكن لحضور الموضوعية في مناقشة الموضوع و الذي هو نفسه الذات ، فالجشطالتيه و السلوكية كانت منطلقاتها دائما هي الموضوعية و الظاهرة الموضوعية تجاوزها الزمن و لم تعد صالحة ، حيث تعتبر الذاتية هي الموضوع المطروح و ليس الموضوعية ، ان التصور الجديد الذي تحتكم اليه المقاربة الابيستيمولوجية الراهنة لا يستثمر التصورات التي تدعي الموضوعية و لا يشتغل عليها مطلقا ، فقد عرفنا سالفنا بان الابيستيمولوجية هي دراسة المعرفة من اجل تطويرها و تطوير سيرورتها ، و لكننا نفهم جيدا البعد الاشكالي من خلال دراسة الابيستيمولوجيا لهذه المعرفة في اطار تلك الدراسة و التي تهدف الى نقد المناهج و المنطلقات و النتائج و الأسس .